القمر وأسماؤه في أطواره وأحواله

للدكتور عبدالرؤوف جبر

القمر هو ذلك الجرم السماوي التابع للأرض، المعروف، قيل: هو مسمى بلون نوره، ذلك أن القُمرة هي البياض فيه كُدرة: تقول: شاةٌ قمراء وكبش أقمر، إذا كان لونهما كذلك.

قلت: بل إن أفعل فعلاء للون مشتق من الجامد "قمر"، ولما كان القمر لا يعرف إلا بنوره ذي اللون المعهود فقد اشتقوا منه، أما رأيتهم يفعلون ذلك في غيره فيقولون: أغبر وأعفر وأملح وأدهس من الغبار والعفر (التراب) والملح والدهس وهو الرمل اللين، وإنما سمى القمر لاجتماعه وانقطاعه، وكل قاف فميم إلى اجتماع وانقطاع.

ومن ذلك القم وهو جمع القمامة أو نحوها وعزلها، والقمح، وحبته تكون مجتمعة منقطعة عن سواها، والقمص: التدفع على الماء ومنه القميص لأنك تلبسه مجتمعاً فيه منقطعاً عن سواك. والقماص في الدارجة الفلسطينية هو القطعة من الطين كالكرة. والقمط، وهو لف الطفل بحزام يجمعه ويشده بعضه إلى بعض. والقمح قطع واجتثاث، والقملة معروفة، والقمة من الجبل، لارتفاعها وتفردها بالبروز.

وقد عرف العرب أطوار القمر منذ أمد بعيد، وكانوا يعتمدون دورته، وما زالوا، في التعليم على حدود الزمان والطبائع والأحوال، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الأمم العريقة. فقد كان له أثر جليل في حياتهم، حيث "أنسوا به لأنهم يجلسون فيه للسمر ويهديهم السبيل في سرى الليل في السفر ويزيل عنهم وحشة الغاسق وينم عن المؤذى والطارق" (ابن منظور– نثار الأزهار ص ٥٧).

وقال حسان السعدي في أطواره:

ومهمـــا يكـــن ريـــب المنـــون فـــإنني
أرى قمـــر الليـــل المعـــذب كـــالفتى
يهـــل صـــغيراً ثـــم يعظـــم ضـــوؤه
وصـــورتهُ حتـــى إذا مـــا اســـتوى؟؟
تقـــارب يخبـــو ضـــوؤه وشـــعاعه
ويمصـــح حتـــى يستســـر فمـــا يـــرى
كـــذلك زيـــد المـــرء ثـــم انتقاصـــه
وتكـــراره فـــى اثـــره بعـــدما مضـــى

قال أبو الحسن: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية (أبو زيد– النوادر– ص ١١١، ١١٢ وهلال ما صح إذا نقص).

وقد امتزجت بعض معارف العرب بالخرافة، ويتجلى ذلك فيما كانوا يؤمنون به من أن القمر يختن المواليد، ومن ذلك قول امرئ القيس:

إنـــى حلفـــتُ يمينـــاً غيـــر كاذبـــة
أنـــك أقلـــف إلا مـــاجلا القمـــر؟؟

(ديوانه ص ٢٨٠) قاله في قيصر الروم.

وعرف العرب قرانات القمر المختلفة وأقَّتوا بها، الأمر الذي أغناهم عن التقويم الشمسي، ولا سيما البادين منهم إلى يومنا الحاضر، وما ذلك إلا لإطالة النظر في السماء والنجوم. وأذكر أن القحطانيين الذي يقيمون في الصبيخة الواقعة في حاشية الربع الخالي الشمالية الغربية يعلمون لتأبير النخل باقتران القمر مع الثريا ليلة السابع من الشهر. وجاء في الآثار الباقية (٣٣٦/٢) قول أبي الريحاني

البيروني في العرب أنهم "كانوا أناساً أميين لم يمكنهم معرفتها (يعني المنازل) إلا بشيء يعاين، فعلموا عليها بالكواكب الثابتة التي اتفقت فيها، وجعلوا طلوبها في المشرق بالغداة بعد طلوع الفجر علماً لحلول الشمس فيها ... ثم قرضوا أشعاراً ودونوا فيها التأثير الطبيعي المتناوب الموافق لطلوع كل واحدة منها ما وجدوه بالتجربة والامتحان ليسهل حفظها على الأميين. قال أحدهم (أسيد بن الحلاحل) (عن أنواء ابن قتيبة ص ٨٧):

إذا مـــــا قـــــارن القمـــــر الثريـــــا

لثالثـــــة فقـــــد ذهـــــب الشـــــتاء

وقال آخر:

إذا مـــــا البـــــدر تـــــم مـــــع الثريـــــا

أتـــــاك البـــــرد أولـــــه الشـــــتاء

فأنت ترى أن القرانين المذكورين علامتان على طبعين مختلفين، فإذا نزل القمر منزلة الثريا الليلة الثالثة من الشهر، فذلك يعني انصرام الشتاء ودخول الناس في الدفء والربيع. وإذا نزل في منزلتها الليلة الخامسة عشرة (حينما يكون بدراً) فإن ذلك ابتداء البرد والشتاء.

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لبعض أحوال القمر، كما يتضح في قوله تعالى: "والقَمَرِ إذا اتَّسَقْ" (الانشقاق ١٨) أي إذا امتلأ وكان بدراً، واتسق بإدغام فاء الفعل التي هي الواو في تاء الافتعال، إذ الأصل "اوتسق" في صيغة الافتعال من "وسق" بمعنى حمل والوسق الحمل، حمل البعير يكون عدلين وفوقهما على سنامه عدل أحدهما. وقال فيه عز وجل: "حتى عادَ كالعُرجُوْن القَديمِ" (يسن ٣٩) وذلك في آخر ليلة من الشهر حيث يدق ويتقوس كعرجون الذرة أو النخيل.

كما أوضح القرآن الكريم شيئاً من معارف العرب بعرضه لسؤالهم النبي ﷺ عن الأهلة، حيث قوله تعالى: "يسَألونَكَ عن الأهلّةِ: قل هو مَواقِيتُ لِلنَاسِ والحَجِّ ....." (البقرة ١٨٩) وهي صورة القمر في أطواره حيث اعرض عن الإجابة على سؤالهم عن العلة الفلكية بأن أجاب بما فيه الفائدة، ذلك أن الشمس والقمر وغيرهما من الأجرام إنما هي مسخّرة لأداء غرض، ومصداق ذلك قوله تعالى: "وسخرَ الشمسَ والقمرَ كلٌ يجرِي إلى أجلٍ مُسمًى) (لقمان ٢٩).

كما عرض القرآن الكريم لحكمة أخرى في خلق الشمس والقمر تتمثل في قوله تعالى: "وهو الذي جَعَلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقَدرَهُ منَازِلَ لتعلَموُا عَدَدَ السِّنينَ والحِسَابَ" (يونس ٥)، حيث أشار إلى منازله وإلى أنها أداة تقدير الزمان ومعرفة الحسابات المختلفة. ونستدل من الآية على أن النور للقمر والضياء والضوء للشمس. غير أن العرب ربما استخدمت أحدهما مكان الآخر للتشابه في الفعل الذي هو الكشف والإنارة.

ويثنّى القمر عَلَماً على الشمس والقمر. ومن ذلك في المثل "أبهى من القمرين" (فرائد اللآل ٩٧/١) أي أنور منهما، وذلك بتغليب القمر لأنه مذكر. وهما **النيران**، قال عبدالله بن محمد بن أبي عيينة.

ولا تقولُنَّ أنني لست من أحد

(ولا) تمحق النيّريْن: الشمس والقمر

(المبرد- الكامل ٢٥٢/١ (ولا)، لا يستقيم به الوزن، ويصح (بأو) مكانها، فهو من البسيط).

وهو الأزهر، للونه، والشمس زهراء، وقال امرؤ القيس في أسد:

ذو مقلة مثل السراج تَزْهَر

(ديوانه ص ٣١٦) أي تضيء، والأزهر صفة، وقد تقام مقام موصوفها، قال مالك بن الريب:

رغيـــــف لـــــه فَلْكَـــــةٌ مـــــا تـــــرى

وآخـــــــرُ كـــــــــالقمر الأزهـــــــــر

(المبرد – الكامل– ٣٠٢/١)

وهو الزمهرير، في لغة طيء، وأراه من الزهر بزيادة الميم وتضعيف الراء، قال الراجز:

وليلـــــــــة ظلامهـــــــا اعتكـــــــر؟

والزمهريـــــــــر مـــــــا زهـــــــرَ

(الزمخشري – الكشاف ٦٧٠/٤ عن ثعلب، والجوهري– الصحاح– ٦/ ٢٢٠٣).

وقد فسر به وبغيره قوله تعالى: "لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَرِيراً"، (الدهر ١٣).

وهو **الباحور** (عن ابن منظور في اللسان (بحر) عن أبي علي في البصريات، وانظر شاهد الساهور فيما يأتي)، ولست أرى الباحور إلا فاعولاً من بحر، وهذه المادة تتصرف لدلالة أصلية على معنى الاتساع والامتلاء، وأراه القمر عندما يكون بدراً، وفي الدارجة الفلسطينية يقولون: بحَّر فلان إذا حدق وفتح عينيه أوسع ما تكون، والقمر عندما يكون بدراً يشبه ذلك، ولا سيما في ظلام الليل.

وهو **الغاسق**. وبه فسر قوله تعالى: "وَمِنْ شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ" (الفلق ٣).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال لعائشة وأشار إلى القمر: تعوذي بالله من هذا فإنه الغاسق إذا وقب (ابن قتيبة – الأنواء ص ١٣٥ واللسان (غسق) عن ثعلب، و(**سهر**) عن ابن قتيبة)، والوقوب الاختفاء لخسوف أو غروب. والغاسق فاعل من غسق بمعنى أظلم لأن الحال تصير إلى ظلام إذا اختفى.

ومن أسمائه في أطواره:

الشهر، وهو الهلال في الأفق الغربي، ومنه الإشهار في الأمور: إعلانها وليس العكس، ذلك أنه أذان في الناس بابتداء دورة زمنية جديدة.

وبه سميت مدة ثلاثين يوماً شهراً، وهي من ظهوره إلى ظهوره التالي في نفس المكان من السماء وفي نفس الموضع من الزمان. قال ذو الرمة:

..... يَرَى الشهرَ قبل الناس وهو نحيل

(اللسان: شهر، وليس في ديوانه).

أي يرى الهلال. وطريف أن اللفظ حي لدلالته في لهجة بني شهر من قبائل جنوب الحجاز إلى يومنا الحاضر. وقد عده الجواليقي في المعرب (ص٢٠٧) وليس بوجه، وإن شابه نظيريه السرياني (سهرا) والعبري (سوحر)، وإذ لا يعدو اللفظ أن يكون ساميّاً مشتركاً، ويدل على ذلك ما تشير إليه القوانين الصوتية حيث تناظر السين فيهما الشين في العربية، والهاء في العربية الحاء في العبرية.

وهو **الساهور**. وقيل: بل هو غلافهُ الصنوبري الذي تراه إذا خَسَف، وأيهما كان فهو في مبنى فاعول من السهر ويطلق على نور القمر، ومنهُ قيل للحديث في الليل سهر، لأن الناس تجلس لهُ في نور القمر. ولا مجال للقول إن (سهر، ساهور) معربان من السريانية. قال أمية بن الصلت:

لا نقص فيه غير أن خبيئه قمرٌ وساهور يُسَلُّ ويُغمدُ

(ديوان أمية القصيدة ٢٥ البيت ٤٠) والساهور هاهنا دارة القمر. وقال آخر:

كأنهـــا عـــرقُ ســـام عنـــد ضـــاربهِ

أو شـــقة خرجـــت مـــن جـــوف ســـاهور

(أنواء ابن قتيبة ص ١٣٦) وهو في امرأة بيضاء جميلة شبهها بعرق الذهب في الصخر، وبقطعة خرجت من سواء القمر، ويروى هذا الشاهد بكل من باحور وصاهور، لغة في الساهور، وناهور، ويفسر الناهور بالسحاب والشقة بالبرق.

والهلال، وهو القمر أو ما يظهر في الشهر الجديد حتى يبهر نوره النجوم. وهو فِعال من هَلَّ بمعنى بدأ واستبان، ومنه استهلال المطر وانهلاله. ثم أطلق على القمر في ثلاث الليالي الأخيرة من الشهر لشبهه فيها به في أول الشهر. والجمع أهلة. روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري، قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ لا يكون على حالة واحدة؟

(الزمخشري – الكشاف– ٣٣٤/١) فنزل قوله تعالى: "يسألون عن الأهلة ...." (البقرة ١٨٩).

ومن شواهدنا لهذه المفردة قول الكميت في الجمع:

والغيث بالمتألقات من الأهلة في النواحر

(ديوانه ٢٣٣/١)، وقال مالك بن الريب:

كـــأن الرحـــلَ اســـأرَ مـــن قَراهـــا

هـــــلالَ عشـــــيةٍ بعـــــدَ السِّـــــرار

(ديوانه ٧٧) وهو في ناقة، ولم يبق الرحل من متنها إلا كالهلال أول ما يبدو في المغرب. ومن ذلك قول الكندي:

شفا من هلال ما يكاد يبين

(ديوان امرئ القيس ٢٨٦، ٣٠٩) أي حافة هلال لا يكاد يظهر، وتقول من الهلال لابتداء الشهر: أهَلَّ الهلال، وأُهِل، واستَهل واستُهِل ولا يقال: هَلّ.

وهو **الإزميم**. ويخص به آخر الشهر، عندما يدق ويستقوس. قال ذو الرمة:

قـــد اقطـــع الخـــرقَ بالخرقـــاء لاهيـــة

كأنمـــــا آلهـــــا فـــــي الآلِ إزمـــــيمُ

(شرح ديوانه ٢١٣) أي ربما قطعت الصحراء المديدة بالناقة التي يراها الرحل، فكأنما سواؤها إذا بدا في السراب هلال. والإزميم إفعيل من "زَمَ" لدلالة على معنى الاتصال والاشتداد والامتداد، أو القطع.

وهو **ابن مزنة**. والمزنة السحابة "البيضاء" والقمر إلى البياض "وسمي به لأنها تحجبه ثم تنصرف من سُده فيبدو، فكأنها أُم تحتضن وليدها ثم تطلقُها".

وقال عمرو بن قميئة:

كـــــأن ابـــــنَ مزنتهـــــا لائحـــــا

فَســـيطٌ لـــدى الأفـــق مـــن خنصـــر

(ديوانه ص١٩٣) شبهه بقلامة ظفر الخنصر لصغرها وانحنائها ولونها.

والبدر. وهو القمر ليلة تمه، وهو القمر إذا اتسق، أي امتلأ. ويكون ذلك إذا قابل الشمس ليلة أربع أو خمس عشرة. وسمي به لإحدى اثنتين هما:

١- أنه يبادر بالغروب طلوع الشمس، وبالطلوع غروبها.

٢- امتلاؤه وتمامه: حيث يقال: عين بدرة، إذا كانت عظيمة.

ومنه يقال لعشرة الآلاف درهم بدرة، لأنها من تمام العدد. قال الكميت:

أغـــر كالبـــدر يستســـقى الغمـــام بـــه

كـــأن ديبـــاجتي خديـــه مـــن ذهـــب

(ديوانـه ١٤١/١، وانظـر لمثلـه عنتـرة ص ٨٦: البـدر ليلـة تمـه، والشـمردل اليربوعي ص ٢٨٥).

والزبرقان: وهو البدر سمي بترتيب ليلته في الأعداد، ذلك أن الزبرقان عدد خمس عشرة والقمر في تلك الليلة يكون بدراً أو ناقصاً نقصاً لا يستبان. وشأن الزبرقان في ذلك شأن هند وهنيدة وهندة في دلالتها على العدد (مائة) وتعد به للإبل:

قال الشاعر في الزبرقان:

تضـــيء لنـــا المنـــابر حـــين يرقـــى

عليهـــا مثـــل ضـــوء الزبرقـــان

(اللسان: زبرق)

وربما كانت الكلمة منحوتة من الزئبر وهو زغب المنسوجات الصوفية البراق ومن الزئبق، أو الزرقة وكلها إلى إنارة ولمعان، كالبدر.

وفيما يتعلق بما بين المفردتين هند وزبرقان، والدلالة على العدد، فلعل الأمر يكون مقلوباً وهو الأرجح عندي، أي أن الدلالة على العدد منفرعة عن الدلالة على البدر، ولما كان البدر مقروناً بالعدد "خمس عشرة" أو أربع عشرة فقد

تحولت الدلالة تدريجياً إلى العدد، وخص "خمس عشرة" لكماله. أما (هند) فلعله اسم فتاة جميلة كان صداقها إبلاً، فسيقت لها منها مائة، ثم كأنهم قالوا: عدد من الإبل يعادل هنداً أو ما مهرت به، ثم جرى الانتقال الدلالي. وقد كانت العرب على ذلك إلى عهد قريب، وبعضهم ما يزال، أما سمعت قائلهم حيث يقول:

امـــا ابـــن حـــوط فقـــد أوفـــى بعدتـــه

كمـــا وَفَـــى بِقِـــلاصِ الـــنجم حاديهـــا

وهذه قصة تطول. وموجزها أنهم نقلوا الصورة إلى الأجرام السماوية وقلاص النجم هي نجوم صغيرة بين الدبران والثريا. وحاديها هو الدبران. زعموا أنه أراد أن يخطب الثريا فساق لها مهرها عدداً من النجوم هي التي أمامه، والتي تعرف بقلاص النجم تشبيهاً بقلاص الإبل جرياً على عادة العرب.

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر:

المحاق، وتطلق على القمر في آخر ليلتين، أو ثلاث ليالٍ من الشهر، ينمحق فلا يبدو، ويستسر في الأخيرة منها، ذلك أنه يطلع من طلوع الشمس فيبهر ضوءها نوره فيحتجب.

والبراء: وهي آخر ليلة في الشهر لتبرؤ القمر فيها من الشمس وخروجه من الحجاب، وقيل آخر يوم فيه لأنه كأنه يتبرأ منه، و**ابن البراء:** أول يوم في الشهر وهذا يؤكد أن البراء هي آخر ليلة فيه فكأنها ولدت اليوم الأول وقال شاعرهم:

يـــا عـــين بكـــى عـــامراً وعبســـا

يومـــاً إذا كـــان البـــراء نحســـا

(المخصص لابن سيده ٣٢/٩، ١٥) وليلة السرار: (انظر قول ابن الريب في الهلال سابقاً) وهي ليلة ثمان وعشرين إن كان الشهر تسعة وعشرين يوماً، وليلة تسعة وعشرين إن كان ثلاثين، والسرار فعال من "سر" بمعنى أسر واستسر ومعنى استتر وكتم وأخفى. ومنه السر الذي تخفيه.

وسميت تلك الليلة به لأن القمر فيها يستسر فما يرى (راجع قول حسان السعدي في البداية)، وقد سمى العرب كل ثلاث ليال من الشهر باسم مشتق من عمل القمر أو من العدد الذي تبلغه وتبيان ذلك على النحو الآتي:

ثلاث **غرر**: ذلك أنها تقع في أول الشهر، والغرة من كل شيء أوله.

فثلاث **نفل**: لازدياد مكث القمر فيها، ولاتساع النور شيئاً فكأنها تقدم للناس نفلاً زيادة.

فثلاث **تسع**: لأن نور القمر يبهر فيها نور النجوم ويغلبه. قال ذو الرمة في ذلك:

حتى بهرت فما تخفى على أحد
إلا على أكمه لا يعرف القمرا
(شرح ديوانه ٦٢٦)

فثلاث **عُشَر**: لأن أولاها عاشرة الليالي، أو لأنك تركبها من العدد عشرة.

فثلاث **بيض**: لأن القمر يعمر فيها السماء حتى الفجر الثاني (الصادق) فهي بيض بنوره.

فثلاث **درع**: جمع درعاء، من قولهم شاة درعاء، هي التي ابيض سائرها واسود رأسها، ذلك أن أوائل هذه الليالي – رؤوسها – تكون سوداً، لتأخر القمر، وتستمر عقب ذلك نيرة إلى مطلع الفجر.

فثلاث **ظُلَم:** لغلبة الظلام على النصف الأول وهو الذي يكون فيه السمر ويستمر فيه العمل.

فثلاث **حنادس:** أو دحامس بالقلب المكاني وإبدال النون ميماً وهي من الحندس: الظلام الشديد.

فثلاث دآدئ: جمع دأدأ وهو البقية من الشيء، لأنها من بقايا الشهر ويقال في مفردها دَأدأة، ودِئداء، ودُؤداء، قال الأعشى:

تداركـــــه فـــــى مُنْصُـــــل الآل بعـــــدما

مضـــــى، غيـــــر دأدأء وقـــد كـــاد يعطـــب

(الجوهري ٤٨/١)

فثلاث محق: إذا كان الشهر ثلاثين، وإلا فهي اثنتان، وفيها ينمحق الهلال ويقابل الشمس داخلاً في الحجاب. وتسمى الأخيرتان:

ابنتي جمير، والجمير الظلام.

ومن المفردات التي ترتبط بالقمر وغلافه.

الدارة والهالة والندأة:

وهي سواء، وتطلق على الدائرة الغبارية التي تطيف بالقمر. وقيل في الأخيرة أنها الحمرة في الغيم لدى غروب الشمس وشروقها.

والدارة أصلاً هي ما اطمأن من الأرض وأحاطت به الجبال وهي فعلة من دار يدور، وأصلها دورة.

والهالة من الاهالة، بإسقاط الهمزة شأنها في ذلك شأن المصغر من أفعل فعلاء حيث تقول "دريد" في ادرد. والاهالة هي الشحم المذاب، وقد سميت الهالة

بـه للونهـا. وقـد آلـف الكنـدي، يعقـوب بـن إسـحق رسـالة فـي الهـالات (ابـن أبـي أصيبعة ٢٩٠).

والنُدأة فُعلة من ندأ بمعنى خرج، لأنها تند عن سواء القمر خارجة عنه.

والقسطلاني، والقسطالة:

وبالنون مكان اللام، وبالكاف مقام القاف فيها: وهي قوس قزح، وقيل: بل دارة القمر. وأياً كانت فالقسطلاني هو الغيار، والشبه بينه وبين كليهما قائم، قال مالك بن الريب:

تـــرى جـــدثا قـــد جـــرَّت الـــريح فوقـــه

ترابـــــا كلـــــون القســـــطلاني هابيـــــا

(الجوهري ٥/١٠٨١)

أي تراباً دقيقاً.

والطِّفاوة:

دارة الشمس، ودارة القمر. والأصل فيها أن تكون لما على سطح ما في القدر من رغوة ودسم، فشبهتا به، كالهالة من الاهالة. وهي فعالة من طفا يطفو، إذا ارتفع فوق سطح سائل.

والمَحو:

وهو **الندبة والنكتة** التي تراها في القمر، كالكلف. وهي الكلفة: قال التهامي:

فبـــات يجلـــو لنـــا مـــن وجههـــا قمـــرا

مـــــن البراقـــــع لـــــولا كلفـــــة القمـــــر

(عن قدري طوقان في العلوم عند العرب ص ٧٥)

والكلف أصلاً لون بين الحمرة والسواد. وقد شبه وجهها بالقمر ثم استنكف لوجود الكلفة فيه. وقال أبو تمام في الكلف:

الجـــو أكلـــف، والجنـــابُ، لفقـــده

محـــل وذاك الشـــق شـــق مظلـــم

(ديوانه ٢٤١)

أي مغبر، كناية عن التشاؤم.

والغمة:

وهي ألا يرى الهلال في الوقت الذي يتوقع فيه طلوعه، وذلك ليلة ثلاثين، وفي الأفق الغربي، وقد يكون طالعاً ولا يرى وإذا غم هلال شعبان أكمل ثلاثين يوماً. ومن ذلك في الحديث: "فإن غم عليكم فأكملوا العدة" (الموطأ – كتاب الصيام ٣/١٨).

وفي رواية: "فاقدروا له" أي قدروا للقمر السير في المنازل، واحسبوا له وتبصروا في ذلك، وعليه قامت رؤية الاستبصار، التي ابتدعتها الفاطميون، وهي مذهب الحُسّاب والفلكيين. أما رؤية الإبصار فهي أن يعاين القمر بالمجردة. أما كيفية الحساب له فنجملها فيما يلي:

تستغرق دورة القمر الظاهرة ثمانية وعشرين يوماً، واليوم أربع وعشرون ساعة، والقمر يزداد مكثه في الليالي الأربع عشرة الأولى ثم يبدأ يتناقص في مكثه تدريجياً حتى يستسر، ونصيب الليل من الساعات في الاعتداليين اثنتا عشرة ساعة، ونسبة التزايد والتناقص في المكث ثابتة، وبتقسيم ساعات الليل على الأربع عشرة ليلة ينتج ستة أسباع ساعة هي مقدار تزايد المكث في كل ليلة من النصف

الأول ومقدار التناقص في المكث كل ليلة من النصب الثاني. ويطلع القمر ليلة الثامن والعشرين قبيل شروق الشمس، فإن لم ير الصبح ذلك اليوم علم أنه يستسر ليلة التاسع والعشرين وأن الشهر تسعة وعشرون يوماً، وإن رئي علم أنه يستسر ليلة ثلاثين وأن الشهر ثلاثون يوماً.

ومن الأمور التي تعرض للقمر **الخسف نقول:** خَسَفَ القمر، وانخسف. قال تعالى: "وخَسَفَ القمرُ وجُمِع الشمس والقمر" (القيامة ٨، ٩).

ولا نقول خُسِف القمر. والخسوف هو ما يعرض للقمر (وربما جعله بعضهم للشمس أيضاً) من انكدار أو احتجاب كلي أو جزئي بأن تتوسط الأرض بينه وبين الشمس، ليلاً، وذلك إذا مر بالأرض الخط الواصل بين مركز الشمس ومركزه. ويزداد حجم الخسوف كلما ازداد انفراج الزاوية التي مركزها مركز الأرض وطرفاها مركزا الشمس والقمر.

وقد اختلف في **الخسوف والكسوف** أهما مترادفان ام ان لكل منهما دلالة خاصة. وفي حديث موقوف صحيح ان النبي ﷺ قال «لا تقولوا كَسفَت الشمس ولكن قولوا خَسَفَت» (ابن حجر ـ فتح الباري ٢/٤٤٣).

وفي حديث آخر: ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد وفي رواية «لا يَخْسِفان» (ابن حجر ـ فتح الباري ٢/٤٣٦ ومسند ابي حنيفة ص ٦٩) وفي هذا كل ما يشير الى جواز استخدام احدهما مكان الاخر، واللفظان مما تقارب لفظة ومعناه والكسف والخسف الى دلالة على معنى التغير والنقص والكاف اخت الخاء. وهما في بعض اللغات امر واحد فيعبر عنها في اليونانية ع ك ٨ ٤١٢ ومنها جاءت eclipses الانجليزية. وفي السريانية ܐܠܦܣܐ اقلفسز كاليونانية وربما اضافوا ܪܝܚܐ : دسهرا: القمر: اي خسوف القمر. أو ܕ ܫܡܫܐ : دشمشا: الشمس وقال ابن مقبل؛ وقد جمع الخسوف والكسوف للشمس:

بجمع رأته الجن فاختشعت له
وللشمس ادنى للخسوف وأكسف
(ديوانه ١٩٤)

وهذا يؤكد ان العرب كانت توقع الخسوف موقع الكسوف والعكس. **والوكس**: وهو لغة، النقص. قال الكندي:

فأقول: أنتِ من النساءِ ولا
يقبلن إلا خُطةَ الوَكْس
(ديوان امرؤ القيس ٢٤٧)

ثم صرف لدخول القمر في المنزلة غدوة، كأنه قصر عن إدراكها ليلاً والتقصير نقص ومنه. وقيل: هي المنزلة التي يخسف فيها القمر إذا نزلها والخسوف أيضاً نقص.

والتجلـى: هو خروج القمر (والشمس) من حيزي الخسوف والكسوف، وفي الحديث: "فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس" (فتح الباري ٢/ ٤٣٦)، وحد صلاة الخسوف والكسوف إلى التجلى.

والمقارنة أو القِران:

وهما أن ينزل القمر في المنزلة من الثماني والعشرين نزولاً حقيقياً أي أن يتوسط الرقعة السماوية التي تحف بها نجوم المنزلة. أو أن يوازيها شمالاً أو جنوباً، بحيث لا يتقدمها ولا يتأخر عنها. وهي **المكالحة**، وهي العِداد. والعرب تقول: فلان ما يأتينا إلا عداد الثريا، ولا يكون إلا مرة واحدة من العام.

والعُدول: هو أن ينزل القمر في الفُرَج التي تكون بين المنازل، والعرب تتفاءل بذلك وتكره المكالحة **والقران** (انظر ابن قتيبة ص ٨٦).

والعِقْبَة: وهي بتثليث العين. وهي سواء والعِداد. قال أحَد بني عامر:

لا تَطْعَمُ المِسكَ والكافورَ لِمَّتُه

ولا الذريرةَ إلا عِقْبَةَ القَمَر

(اللسان: عقب)

أي أنه لا يتطيب إلا مرة في العام.

والمنزلة: هي واحدة من ثمان وعشرين مجموعة نجمية، يمكث القمر في كل منها ليلة واحدة، والشمس ثلاثة عشر يوماً وسبع ساعة، وهي مَفْعِلة من نزل، بمعني محل ومقام.

قال تعالى: "والقمر قدرناه منازل ....." (يس ٣٩)

أي قدرنا سيره في المنازل لتتخذوا من ذلك علامات على الحدود الزمنية والطبائع.

* * *

وبعد، فهذه هي المفردات التي وردت في التراث العربي حتى نهاية القرن الهجري الثالث، مما له ارتباط بالقمر، سواء أكان اسماً له أم صفة أم متعلقاً به، وقد أوردنا منها ما قام عليه دليل وشاهد من آي الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف وأدب العرب في الجاهلية والإسلام. ولا ندعي بذلك أننا قد أتينا بكل ما له ارتباط بالموضوع، ومن ذا الذي يسعه جهده لأن يحيط بتراث العربية فلا يغادر منه شيئاً؟ وقد ذكرنا مصدر كل شاهد مع اقتباس بعده مباشرة، ذلك أننا نرى الأمر أوفى بالغرض وإن كان يزعج القارئ أحياناً.

ونهدف من وراء ذلك إلى جمع المفردات والمعلومات التراثية اللغوية والأدبية التي تتعلق بالموضوع الواحد في دراسة جامعة موجزة، توضع بين أيدي الدارسين والباحثين المحدثين، الأمر الذي ييسّر عملية اتصالهم بالتراث. ونرجو أن نقدم خدمة متواضعة في مجال تعريب المصطلحات، وأن يقف الدارسُ على عظمة العربية وتراثها، ومدى الدقة في تسمية الأشياء عند العرب.

د. يحيى عبدالرؤوف جبر